لمحة تاريخية حول تطور التعليم في ليبيا

د. ابراهيم اغنيوه
كلية الهندسة / جامعة بنغازي

أ. سلوى المشيطي
كلية التقنيات / جامعة بنغازي

مقدمة

الحديث عن التعليم العالي في ليبيا في العهود المختلفة لا يكتمل إلا إذا سبقه أولا حديث عن نشأة التعليم الأساسي في ليبيا عموما وكيف تطور إلى الدرجة التي مكنته من أن يخرّج طلبة وطالبات يكونون نواة للتعليم العالي. لقد بدأ التعليم في ليبيا في الكتاتيب (رحيل ، 2010)، وفي غرف متواضعة قي بيوت صغيرة، ويمكن اعتبار ذلك بموازين اليوم مدارس ابتدائية هدفها تعليم الصبية القرآن الكريم، ومبادئ الدين والأخلاق. والمكان الآخر للتعليم هو المسجد الذي يمكن اعتباره تعليماً إعدادياً وثانوياً. بعد ذلك يأتي دور الزوايا، وهي تعادل مدارس دينية عليا، وكان من يرغب في مواصلة دراساته العليا يذهب إلى الجامع الأزهر في مصر أو جامع الزيتونة في تونس، ومن أراد الاستزادة من خريجي المدارس العسكرية أو الوطنية توجّه إلى تركيا للدراسة في معاهدها العليا، والتي كانت حكراً على طبقة معينة تخدم الدولة العثمانية (رحيل ، 2010).

في عام 1903 تخرجت أول دفعة من المعلمين الليبيين، وكان عدد الطلاب فيها سبعة حيث تمَ تعيينهم بالمناطق النائية، وفي عام 1904 تم إيفاد ثلاثة طلاب للدراسة بالأستانة، وافتتاح مدرسة إعدادية للبنات بطرابلس مدة الدراسة بها ثلاث سنوات، وقد استمرت حتى عام 1910م(العاقل ، 2015). وعموماً لم يحظ التعليم العالي في ليبيا بأي اهتمام في العهد العثماني،أو،الإيطالي، أو في عهد الإدارتين الفرنسية والبريطانية، ولم تؤسس أي مؤسسة بالخصوص، وتأخر هذا الأمر حتى فترة ما بعد الاستقلال بأربع سنوات، حينما صدر مرسوماً ملكيا بتأسيس الجامعة الليبية (تقرير المنظمة الليبية للسياسات، 2016).

التعليم العالي

بدأ التعليم العالي في ليبيا المستقلة سنة 1955م بالجامعة الليبية في مدينة بنغازي مع فرع لها في طرابلس (تقرير المنظمة الليبية للسياسات، 2016)، وبدأت بكلية الآداب والتربية ثم كلية العلوم في طرابلس سنة 1957. ثم أنشئت كلية الاقتصاد والتجارة عام 1957، وانشئت كلية الحقوق عام 1962، ثم انشئت كلية الزراعة عام 1966.

وفي عام 1967 توسعت الجامعة الليبية في طرابلس لتشمل وتضم كلية الدراسات الفنية العليا وكلية المعلمين العليا، والتي تم انشاؤهما بالتعاون مع منظمة اليونسكو. وقد عرفت الأولى بعد ذلك بكلية الهندسة عام 1967م. وفي عام 1973 أصبحت الجامعة الليبية جامعتين مُستقلتين الأولى جامعة طرابلس والثانية جامعة بنغازي، ثم تم تغيير اسم جامعة بنغازي إلى جامعة قاريونس، وتم تغيير اسم جامعة طرابلس إلى جامعة الفاتح وذلك بعد أحداث 7 أبريل 1976م، والتي قامت فيها ما يُسمى بحركة اللجان الثورية بفصل مئات الطلاب من الجامعات وسجنهم وحرمانهم من الدراسة. وأنشئت كلية الصيدلة سنة 1976م، كما تم إنشاء كلية التربية في سبها سنة 1976م. وتم انشاء كلية الهندسة النووية سنة 1978م، وانشئت كلية الطب البيطري سنة 1976م. كما تم إنشاء جامعات تخصصية مختلفة مثل الجامعات الطبية والجامعات الزراعية وجامعات النفط والتعدين وغيرها (تقرير المنظمة الليبية للسياسات، 2016). ولكن الملاحظ أنّ الزيادة في عدد الجامعات كانت عشوائية وغير مُنظمة، وخضعت لأهواء شخصية دون تخطيطٍ كافٍ (تقرير المنظمة الليبية للسياسات ، 2016).

وقد كانت الزيادة في عدد الطلاب في مؤسسات التعليم العالي في الستينيات وما بعدها كبيرة، ففي عام 1960 كان عدد الطلاب في مؤسسات التعليم العالي (729) طالباً، ارتفع إلى (5198) عام 1970، ثم إلى (19,453) طالباً سنة 1980 وإلى (62,227) طالباً سنة 1990، كما ارتفعت نسبة الطالبات من (3.3%) عام 1960 إلى (43.2%) عام 1990. ويتوزع عدد الطلاب كما يأتي (تقرير المنظمة الليبية للسياسات، 2016) :

- عدد طلاب الجامعات 246,000 طالباً.
- عدد طلاب المعاهد العليا التقنية 3,286 طالباً.
- عدد طلاب المعاهد الصحية العليا 5,260 طالباً.

ومن الملاحظ أن ثمة تباين واضح في الإحصائيات ناشئ عن عدم الدقة في الإحصائيات الرسمية، والحقيقة هي أنه على مدى أربعة أجيال تعرض التعليم العالي لعدد من الانتكاسات مما أدى إلى تفاقم

أزماته لتشمل تدني الكفاءة الداخلية والخارجية للجامعات، مما تسبب في تخرج الطلاب من ذوي الكفاءات المتدنية (المبروك ، 2017).

ولقد كان الأمل كبيرا أن تكون ثورة 17 فبراير 2011م نقطة تحول إيجابية كبيرة في الوضع التعليمي والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية والسياسية عموماً، بما توفر من حريات في بداية الثورة وعمل جريء على نقد تجربة النظام السابق، ولكن بعد سنوات من ثورة 17 فبراير وانحراف البعض بها إلى تحقيق أحلام خاصة ليضع الدولة الليبية وليس التعليم فقط في وضع تخلف بها سنوات وسنوات من جميع النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية، ناهيك عن التخلف التعليمي، حيث استمرت معاناة التعليم بكل مراحله بسبب الفوضى، كما حدث لجامعة بنغازي من تدمير كبير لها بفعل الصراع المسلح في المدينة.

وقد وصل الأمر إلى تدهور المنظومة التعليمية برمتها وخروجها من الظهور في نتائج تقييم منتدى "دافوس" الدولي العام 2016م ، حينما اعتُبرت ليبيا من الدول التي تفتقر لمعايير جودة التعليم إلى جانب العراق وسورية، وكان النظام التعليمي الليبي احتل المرتبة 142 من 144 بلدًا تم تقييمها في إحصائية لتقرير الجودة الشاملة لمنتدى "دافوس" العام 2013 (تقرير اختلال منظومة التعليم في ليبيا، 2017).

واستمرت مشاكل التعليم في ليبيا في التدهور بعد ثورة فبراير 2011، وهو ما أدى إلى استقطاب أعداد كبيرة من الطلاب، وأفضى إلى عمليات التهجير والهجرة والنزوح في دول الجوار، وداخل الوطن بسبب الصراعات المسلحة، والتي أبعدت الكثير من التلاميذ والطلاب عن مقاعد الدراسة، فضلاً عن اتساع دائرة التعيينات على خلفية الانتماءات القبلية والجهوية دون مراعاة لاعتبارات الكفاءات. كما تراجع تعليم اللغات الأجنبية في ليبيا بصورة كبيرة منذ ثمانينيات القرن الماضي على خلفية سياسات النظام السابق التعليمية، ما أنتج جيلاً من الخريجين بمستويات متدنية في شتى المجالات. كما برزت بعد ثورة 17 فبراير العديد من الجامعات في البلديات والمناطق؛ لصعوبة الدراسة وتعذرها في المدن الكبيرة (تقرير اختلال منظومة التعليم في ليبيا، 2017).

لقد كان من الممكن أن يعمل التعليم العالي على أن يرقى بمستوى الدولة ، ويقلل من معدلات البطالة في المجتمع ، ويزيد من حجم الاستخدام لأفراد المجتمع، نظرا لما يمكن أن يحققه من أثر إيجابي على الجانب الاقتصادي وعلى الإنتاج، إلا أنه على الرغم من تزايد حجم الإنفاق الخاص للأفراد والمؤسسات غير الحكومية على التعليم العالي، فقد أدى ذلك إلى نتائج عكسية سلبية (المحيشي ، 2017).

ويشير تقرير المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات لسنة 2016 إلى تحدٍ آخر في منظومة التعليم العالي في ليبيا يتعلق بالبنية التحتية للجامعات والمعاهد الليبية. حيث أشار التقرير إلى توقف الكثير من مشاريع البناء

والصيانة، والتي كانت تستهدف تطوير البنية التحتية المتردية. فضلاً عن الإشارة إلى اكتظاظ المؤسسات مع ضعف التجهيزات والقدرات الاستيعابية للمباني والقوة البشرية الأكاديمية المؤهلة لتسيير العمل. يضاف إلى ذلك التردي الواضح في وضع المرافق الخدمية داخل المؤسسات سواء كانت على صعيد الصرف الصحي، أو الأكل أو الشرب الصحي (تقرير المنظمة الليبية للسياسات، 2016).

سبل تطوير التعليم العالي

لا يمكن للتعليم العالي أن يرقى إلى مصاف مؤسسات التعليم العالي الراقية في الدول المتقدمة إلا بالاهتمام بعنصر الجودة حسب المقاييس المتعارف عليها دوليا، ولقد حاولت الدولة الليبية في كل العهود الاهتمام بهذا العنصر لضمان حسن أداء المنظومة التعليمية في مؤسسات التعليم العالي. وتاريخياً بدأ ذلك بصدور قرار من اللجنة الشعبية العامة رقم (141) لسنة 2004م، بشأن تنظيم الجهاز الإداري للجنة الشعبية العامة للتعليم العالي، حيث تضمن الهيكل الإداري لأول مرة إدارة جديدة تحت مسمى "إدارة البحوث ومراقبة الجودة في التعليم العالي"، حيث أعطيت لهذه الإدارة مهام وضع اللبنة الأولى لضمان الجودة والاعتماد في التعليم العالي، ومن هذه المهام التي يجب أن تكون محل تنفيذ واهتمام في المستقبل (مرجين ، 2016) :

- العمل على تنفيذ معايير وضوابط اعتماد مؤسسات التعليم العالي.
- معادلة الشهادات العلمية الأجنبية بالنظر إلى الأنظمة التعليمية الوطنية.
- تحديد المؤسسات العلمية المخالفة لأسس وضوابط اعتماد مؤسسات التعليم العالي.
- اقتراح الخطط الدراسية لمؤسسات التعليم العالي التشاركي (الأهلي، أو الخاص).
- عرض نتائج امتحانات مؤسسات التعليم العالي على وزارة التعليم العالي.
- تجميع النظم العالمية والإقليمية والعربية الخاصة بمعايرة مؤسسات التعليم العالي.
- تقويم مخرجات التعليم العالي والنظر في مدى ارتباطها بمتطلبات المجتمع.
- القيام بشؤون لجنة معايرة وضوابط وتقويم مؤسسات التعليم العالي.
- إعداد شهائد اعتماد مؤسسات التعليم وعرضها على وزارة التعليم العالي للاعتماد.

وليس من شك في أن محلية مراكز الجودة قد تحقق للجامعات ومؤسسات التعليم العالي عموماً الاعتماد المطلوب محلياً من ناحية الترقيات والتعيينات والدراسة، إلا أنها قد تفتقر الى ما يجب أن يرافقها من اعتمادات دولية نجحت جامعات في الحصول عليها والاحتفاظ بها لأجيال، ولن يكون ذلك إلاَّ بالاستفادة من تجارب هذه الجامعات، وكذلك تجارب المهنيين والمختصين في المنظمات الدولية المعنية بالتربية والتعليم عموماً والتعليم

مؤتمر التعليم العالي والتقني في ليبيا
Higher Education - Technical and University - Conference in Libya

العالي على وجه الخصوص. وقد كان لمنظمة اليونسكو دوراً كبيراً في الماضي عند بدء التعليم العالي في ليبيا في الخمسينيات من القرن الماضي، حيث أسست الكليات ومناهجها، بل وحتى قاعات المحاضرات وسكن الطلاب والمعامل، وتواصل منظمة اليونسكو مساعدة الليبيين على اجتياز المرحلة الصعبة التي يمر بها قطاع التعليم العالي بفعل الحرب الأهلية في بعض المناطق، وبفعل الحرب على الإرهاب في مناطق أخرى، وفي سبيل ذلك تم اتخاذ بعض الخطوات المهمة التي يجب الاستمرار في تنفيذها لنجاح التعليم العالي في المستقبل (تقرير علاقة اليونسكو بليبيا الجديدة، 2012).

حيث كان من أهم تلك الخطوات الاتصال الدائم بالمنظمات الدولية المعنية بالتعليم كاليونسكو بهدف اطلاعها على واقع التعليم والأضرار التي لحقت بمؤسساته وبرامجه وما ينبغي عمله، وكذلك الاتصال بالمراكز البحثية والجامعات ذات العلاقة بمنظمة اليونسكو، وذلك للمراجعة والتخطيط لإمكانية استئناف عملها في ليبيا في إطار الاتفاقيات السابقة ،أو اقتراح تعديل أو بديل لها. كل ذلك يكون من أجل رسم خطة لتعاون هذه المنظمات مع نظيراتها في ليبيا في الشأن التربوي والتعليمي والعلمي والثقافي بما يخدم أهداف الشعب الليبي في هذه المجالات، ومراجعة المشاريع المتفق عليها مثلاً مع اليونسكو في الماضي على تنفيذها، وتشكيل فرق من خبراء وطنيين ومستشارين دوليين لدراسة الوضع الحالي لمنظومة التعليم والبحث العلمي والمؤسسات الثقافية وطرق المعالجة، وتحديد الموارد المالية المطلوبة ومصادرها، علماً بأن التمويل سيكون من الجهات الدولية الممولة لبرامج التنمية والتطوير في ليبيا وما توفر من رصيد في المشاريع المتفق على تنفيذها مع اليونسكو بتمويل ليبي (تقرير علاقة اليونسكو بليبيا الجديدة، 2012). وفي المستقبل أيضا يجب أن يكون أمر التعليم العالي جادا وغير خاضع للمزاج السياسي، ويجب تصحيح ما حدث من أخطاء في الماضي، وعدم تكرار هذه الأخطاء. فلقد أدت بعض السياسات (التقرير الوطني للجماهيرية عن تطور التعليم، 2008) والتدخل السياسي المباشر في الشأن التعليمي والثقافي عموما الى نتائج كانت ستؤدي إلى نتائج كارثية لولا وجود رجال ونساء في القطاع التعليمي كانوا دائما و على الرغم من كل الظروف فإنهم ينجحون في تخرج أجيال متعلمة تستمر بالمسيرة التعليمية في طريقها على الرغم من التدخلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولكن لا يمكن الاعتماد على الجهود الذاتية للأفراد، بل يجب وضع استراتيجية عامة تعمل على تصحيح الأخطاء والتجاوزات التي تنخر التعليم العالي، ومنها (تقرير التعليم الجامعي في ليبيا بين ضياع الأهداف وغياب المعايير ، 2010):

- تحول كثير من مؤسسات التعليم العالي إلى مراكز للتجارة.
- كثير من جامعاتنا يراسها أناس غير أكفاء، ولا يستحقون هذه المناصب.

– جامعاتنا اليوم تنقصها الإمكانيات المادية والبشرية.

ومن الضرورة بمكان إذا أردنا مستقبل واعد للتعليم العالي في ليبيا أن نهتم بالأمور الآتية (تقرير التعليم الجامعي في ليبيا بين ضياع الأهداف وغياب المعايير ، 2010) :

– ضرورة الإعلان عن شواغر الجامعات بما في ذلك عمداء الكليات ورؤساء الاقسام.

– إعادة النظر في ملفات أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات،وتطبيق المعايير العالمية عليهم.

– تحسين وضع أعضاء الهيئة التدريسية المادي وإلغاء التعاون.

– تحسين وضع الطلبة وتلبية احتياجاتهم.

– الاهتمام بالإدارة وخاصة القبول والتسجيل.

– الرجوع إلى فكرة الحرم الجامعي.

– توفير ميزانية خاصة للبحث العلمي.

– إرجاع كافة الأنشطة الطلابية الرياضية والثقافية.

– تحفيز البحث العلمي ووضع مكافئات خاصة للأبحاث العلمية.

– الزام القطاع الخاص بالتعاون مع الجامعة وخاصة في مجال البحث والتطوير.

وليس من شك في أن كثيراً من هذه الافكار والمقترحات تم تنفيذها في فترات متقطعة من سنوات التعليم الجامعي ويجب المداومة عليها في المستقبل وعدم الاكتفاء بالنشاط الموسمي، ومن هذه النشاطات كما ذكرنا في فقرة سابقة نشاطات المركز الوطني لضمان جودة واعتماد المؤسسات التعليمية والتدريبية وعمل مراكز الجودة في الجامعات الليبية المختلفة وعلى مستوى التعليم العالي ككل، حيث يتحقق بفعل جهود بعض المخلصين في قطاع التعليم العالي اتخاذ خطوات للتدقيق في تقييم الجامعات واعتمادها بدرجات تتناسب ونجاحها في توفير سبل الاعتماد النظرية والعملية البشرية والمادية.

Higher Education - Technical and University - Conference in Libya

خلاصة الدراسة

إنّ الدراسة الحالية لا تدعي الكمال في طرحها لتطور التعليم العالي ومراحله المُختلفة، حيث تم إعداد الدراسة بالاستعانة ببعض المصادر المتوفرة محلياً، كما أنها اعتمدت بشكلٍ كبيرٍ على التجارب والرؤى الشخصية لواقع التعليم العالي في ليبيا، وهذه في حد ذاتها قد لا يتوافق فيها الجميع، لاختلاف وجهات نظرهم وتقييمهم لمراحل تطور التعليم، وتفسير ذلك في الدولة الليبية.

إن الارتقاء بالتعليم العالي هو ارتقاء بالدولة والمجتمع، وقد تم في هذه الورقة سرد تاريخ تطور هذا القطاع في الماضي والحاضر واستشراف مستقبله ، فلا يمكن تحسين المستقبل إلا بمعرفة ما حدث في الماضي ويحدث في الحاضر من إيجابيات وسلبيات. إن ثمة جهود مخلصة في قطاع التعليم العالي حالت دون فشله على الرغم من كل المعوقات السياسية والقلاقل والحروب. وهذه الجهود وحدها غير كافية ، حيث يلزم التعاون مع المنظمات الدولية للاستشارة والمعونة في كثير من المجالات، كما أن الحاجة ماسة للرقي بمراكز الجودة والاستفادة من خبرات الجامعات الدولية التي حافظت على الصعود إلى مراكز مرموقة في السلم التقييمي لمؤسسات التعليم العالي في العالم.

وختاماً توصي الدراسة بإجراء دراسة مستقبلية ميدانية في ذات الموضوع يتم استهداف المعنيين بوضع السياسات التعليمية في ليبيا ضمن منهجية علمية رصينة، بحيث يُمكن التعويل على نتائج البحث والاستفادة منها في تطوير التعليم العالي في ليبيا.

المراجع:

[1] التقرير الوطني للجماهيرية عن تطور التعليم (2008) ، اللجنة الشعبية العامة للتعليم ، مؤتمر التربية الدولي ، الدورة 48 ، جنيف 2008.

[2] العاقل ، أحمد (2015) ، "التعليم الحديث في ليبيا منذ بداية العهد العثماني الثاني حتى عام 1950" ، مركز المؤرخ للدراسات التاريخية والآثرية ، متاح في :
https://www.scribd.com/document/338981039/التعليم-الحديث-في-ليبيا [تاريخ الوصول 5 مايو 2018].

[3] اللجنة الشعبية العامة للتعليم (2006) ، "التعليم في ليبيا"، المعرفة ، متاح في :
https://www.marefa.org/التعليم_في_ليبيا [تاريخ الوصول 1 ابريل 2018].

[4] المبروك ، فرج (2017) ، "التعليم العالي في ليبيا : الواقع و الآفاق" ، متاح في :
https://www.researchgate.net/publication/316423850 [تاريخ الوصول 12 مايو 2018].

[5] المحيشى ، اسماعيل (2007)، "اقتصاديات التعليم العالي في الجماهيرية"، المؤتمر العربي الأول حول الجامعات العربية، التحديات والأفاق المستقبلية ، الرباط ، ديسمبر 2007.

[6] تقرير التعليم الجامعي في ليبيا بين ضياع الأهداف وغياب المعايير (2010) ، أستاذ جامعي ، متاح في :
www.libya-watanona.com/letters/v2009a/v18apr10j.htm [تاريخ الوصول 1 يونيو 2018].

[7] تقرير المنظمة الليبية للسياسات 2016 : واقع التعليم العالي (2016) ، عين ليبيا ، متاح في [تاريخ الوصول 5 ابريل 2018]. www.eanlibya.com/archives/80973

[8] تقرير عن اختلال منظومة التعليم في ليبيا (2017) ، الوسط ، متاح في :
http://alwasat.ly/news/libya/129359 [تاريخ الوصول 5 مايو 2018].

[9] تقرير عن علاقة اليونسكو بليبيا الجديدة (2012)، مندوبية ليبيا في اليونسكو،متاح في :
http://libya-unesco.org/documents-ar/unesco-new-libya.pdf [تاريخ الوصول 12 مايو 2018].

[10] رحيل ، علي (2010) ، "التعليم العالي في ليبيا : نشوء وتطور" ، متاح في :
https://alirahil.blogspot.com/2010/04/blog-post_20.html [تاريخ الوصول 1 مايو 2018]

[11] مرجين ، حسين (2016) ، "المركز الوطني لضمان جودة التعليم في ليبيا : التحديات والفرص" ، المؤتمر العربي الدولي السادس لضمان جودة التعليم العالي ، ديسمبر 2016.

Higher Education - Technical and University - Conference in Libya
الواقع وأفاق التطوير